قراءة متجددة فيما جاء حول نقش النمارة

الأستاذ عمر كيحل
جامعة ابن خلدون - تيارت

مقدمة: يكتسي موضوع البحث في التاريخ العربي القديم اهمية بالغة، لاعتبارات تتعلّق اساساً بصعوبة البحث فيه، خاصة المنطقة الشمالية منه. ففضلاً على ان تاريخ العرب قبل الاسلام كان في معظمه تاريخاً شفهياً. فانه لم يوجد مما يدلّ عليه مادياً كالنقوش والبقايا الاثرية والمادية الاخرى الا نزراً يسيراً، لا يكاد يشبع رغبة المؤرخ والآثاري او الباحث في التراث العربي بصفة عامة والشمالي منه بصفة خاصة ، والالمام بكل مكنوناته.

وشكّلت مملكة الحيرة في التاريخ العربي الشمالي المسرح الكبير لذلك التاريخ. فالباحث في تاريخها يستشفّ الكثير من النتائج العلمية التاريخية المتصلة بتاريخ وتراث العرب ككل، فبالإضافة الى التصاق تاريخها بمختلف الانواع الادبية التي شكّلت التراث العربي القديم فأثّرت فيه. وعلى رأس تلك الانواع: الشّعر، كأداة من أدوات التصوير قبل ان يكون ابداعاً. الا اننا نجد الى جانب ذلك بعض الاثار المادية، هي بقايا القصور والبِيَع التي دلّت على تاريخ الحيرة، وان كانت قليلة فإنها اضافت لذلك التاريخ تجلّياً يجعل الصورة تكاد تكون مكتملة لدى الباحث.

ومن أهم تلك الاثار المادّية الدّالة على تاريخ الحيرة، نقش النمارة في منطقة حوران بالشام. ولعلّ الاهمية التي يكتسيها هذا النقش مستمدّة مما اضافه هذا الاثر من زخم واثراء لمادة البحث بالنسبة للباحث في التاريخ العربي الشمالي القديم وذلك منذ اكتشافه في مستهلّ القرن العشرين. باعتبار الاثار الدالة على تاريخ الحيرة قليلة في معظمها وتلك الاهمية سبب كافٍ من اسباب البحث فيه واعادة قراءته من جديد. والخوض فيما تمّ قبل ذلك من قراءات جعلتنا ننصب اهتمامنا على احدث تلك القراءات، واهمّها ما جاء به: (James A. Bellamy) من جامعة ميتشيغن (Michigan)، تحت عنوان: قراءة جديدة لنقش النمارة، وابراز المقاربات التي جاءت بها تلك القراءة؛ ومن هذا المنطلق فقد تمثّل الاشكال الرئيسي لهذا المقال فيما يلي:

ما تفسير وجود نصب وقبر لملك عربي من ملوك الحيرة، في منطقة تخضع للنفوذ البيزنطي؟ وما أهمية الكتابة التي وجدت على نصبه، بلسانٍ عربيٍ ولكنّها بحروف نبطية؟

ويجدر بنا لمناقشة هذه الاشكالية بدايةً، اعطاء احاطة تعريفية بنقش النمارة هي بطاقة فنية تاريخية للنصب، ثم للتعريف بالملك صاحب القبر ثم الولوج الى آخر ما جاءت به الدراسات حول الموضوع ،لمحاولة الاجابة على هذين السؤالين.

1/ بطاقة فنية وتاريخية عن نقش النمارة :

في ربيع 1901 قام رينيه ديسو (René Dussaud) بمساعدة: فريدريك ماكلر (Frédéric Macler) بحفريات في لجاء وجبل الدروز بسوريا على بعد 100كلم جنوب دمشق، وفي 04 افريل انتقل الفريق الى منطقة النمارة، وعلى بعد 1كلم جنوب النمارة وبالضبط فيما يسمى وادي السوط تمّ اكتشاف الاثر المهم[01]، الذي وجد على حجر كبير من البازلت مربع الشكل مساحته 4.40 متر في 3.39 متر اصله من انقاض قبر قديم، وهو العتبة العليا من ذلك القبر وعليه خمسة اسطرٍ منقوشة بالحرف النبطي واللسان العربي الشمالي وليست باللغة الحميرية او الحرف المسند كما ينتظر، بل هي منقوشة باللغة العربية الشمالية او لغة عدنان كما كانت في ذلك الحين، أي في اوائل لقرن الرابع للميلاد وبالحرف النبطي الذي كان يكتب به عرب الشمال. وهذه اقدم كتابة عربية شمالية يمكن قراءتها منقوشة على الآثار طولها متر و16 سنتمر، والاثر هو قبر الملك امرؤ القيس بن عمرو، الذي يعتبر الملك اللخمي الثاني لمملكة الحيرة[02]، وحوى النص على اهم مآثر هذا الملك وكذا تاريخ وفاته: في 07كسلول (ديسمبر) من سنة 223 من التقويم البصروي الموافق 328م، ويوجد الاثر في متحف اللوفر مدرجاً تحت رقم: (AO4083)[03].

تكمن اهمية نقش النمارة في كونه يكشف لنا عن الاصول المبكرة للكتابة العربية بلسان عربي ولكن بكتابة وحروف نبطية، وهو الاثر الوحيد الذي وجد على هذا النحو وهو يؤرخ لملك مهم من ملوك الحيرة اللخميين لذا فهو غني من الناحية اللغوية ومهم من الناحية التاريخية، وقدّم ديسو (René Dussaud) في السنة الموالية لاكتشافه تقريره ونتيجة بحثه لـ:

(Académie des inscriptions et Belles Lettre)

وعلق عليها: (clérmont-ganneau). وفي أواخر سنة 1902 طبع دوسو (Dussaud) تقريره النهائي في: (Revue Archéologique) وترجم نسختها الى العبرية، اما الطبعة الثانية لتلك الاعمال فقد جاءت بعنوان: تقرير حول البعثة العلمية (اواخر 1902) وردّ فيها (Dussaud) على بعض الملاحظات لـ: (Halévy). وفي سنة 1905 كانت الطبعة الثالثة تحت عنوان: الرصيد التصويري السامي[04]؛ وهذا نصّها بالحرف العربي كل سطر على حدة:

1- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج.
2- وملك الاسدين ونزرو وملوكهم هرب مدحجو عكدى وجا.
3- بزجي في حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه.
4- الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ مبلغه.
5- عكدى هلك سنة 223 يوم بكسلول بلسعد ذو ولده .

يذكر "جرجي زيدان" محللاً لهذا النص: "... وهذا لسان عربي تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهّمها الى ايضاح، ففيها من الالفاظ الآرامية والنبطية: فلفظة "تي" وتعني: هذا و"نفس" وتعني: قبر، و"بر" وتعني: ابن، و"عكدى" أي: اليوم، ويضيف: "... وكان العرب يومئذٍ من دور الانتقال لاستخدام لغتهم بدل اللغة الآرامية الرسمية، واذ نظرت صورة الخط نفسها، رايتها في اول دور الانتقال ايضا من الشكل النبطي الى الشكل العربي الشائع بيننا الان متحوّل عن الحرف النبطي الذي كان شائعاً في مملكة الانباط..."[05]. واذا اردنا تقريب هذه الكتابة الى افهامنا وتدوينها بلغتنا العربية، لغة القران الكريم، كتبناها على هذا الشكل:

1- هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج.
2- والاسدين ونزاراً وملوكهم وهزم مذحجاً بقوّته وقاد.
3- الظفر الى اسوار نجران –مدينة شمر– وملك معداً واستعمل ابناؤه على.
4- القبائل ووكلهم لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
5- في القوة، هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول ليسعد الذي ولده.

وكان اهل الشام وحوران وما يليها يؤرّخون في ذلك العهد بالتقويم البصروي نسبة الى بصرى عاصمة حوران. وهو يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة 105م و223 من هذا التقويم متوافق اذاً سنة 328 للميلادية، وهي السنة التي توفّى فيها امرؤ القيس[06].

2/ تعريف بالملك امرئ القيس (البدء) (228-328 ميلادية):

ملك بعد (عمرو بن عدي) الذي لم تذكر لنا المصادر الإخبارية ظروف وفاته، (امرؤ القيس) ويتحدّث الإخباريون عن نسبه فيقولون هو: امرؤ القيس بن عمرو بن عدي، وأمّه (ماوية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو) الأزدي[07]. اشتهر عند الإخباريين بـ (امرؤ القيس البدء) أي أمرؤ القيس الأول، كما لقّب بـ(المحرّق)، ومن هذا اللقب أطلق على بني نصر اللخميين وعُرفوا به، و فيهم يقول الأسود بن يعفر، الشاعر :

ماذا أومّل بعد آل مُحرّقٍ ** تركوا منازلهم وبعد إياد

أرض الخَورْنقِ والسَّدِير وبارقٍ ** والقصر ذي الشُرفات من سِنداد[08]

ونصادف كلمة (المحرّق) و(محرّقٍ) و(آل محرّق) في مواضع كثيرة من الأخبار المتعلقة بملوك الحيرة. أما سبب إطلاق هذه التسمية، فقد اجتهد فيها المؤرخون ليجدوا تعليقاً مبيّناً له ويبدو أن اجتهاداتهم تلك وقفت عند حدود الافتراض ولم تأتِ بالدليل المقنع فنجد (جواد العلي) يعلّل هذا التلقيب على لسان المؤرخ الألماني (Rothstein) (روتشتاين) بالقول: "... وهم يرون أنه لقب ألحق بأولئك الملوك لأنهم عاقبوا أعدائهم في أثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار..."، وهذا ولا شك تفسير ظاهر الكلمة وهو تفسير مغلوط و الصحيح في نظر روتشتاين أنه اسم علم لأشخاص عرفوا بمحرّقٍ، ولذلك قيل (آل محرّق) و(آل المحرّق). وهناك فرقٌ بين إيراد الاسم معرفاً (المحرّق) والذي يدلّ في علم الدلالات بالصفة وبين (محرق) والذي يدل على اسم ٍعلمٍ، كما يفهم من كلامه ويضيف (روتشاين). اسما أخر ألصقه بصفة محرق هو (الحرب)، فأصبحت الصفة (محرّق الحرب) وهذا اللقب لم نجد له ذكرا عند الإخباريين العرب، فيما يتعلق بـ (امرئ القيس بن عمرو)[09] كما يجتهد (ولهاوزن) (J. Wellhausen) في إعطاء تفسير لإطلاق هذا الاسم، فيعلّل ذلك بافتراضه أن (محرّق) هو صنم من أصنام الجاهلين تعبّدت له بعض القبائل مثل: بكر بن وائل وربيعة، ويعطى مكانا لهذا التعبّد يطلق عليه موضع (سليمان) ويضيف (جواد علي) على ذلك بقوله: "... وقد ورد بين أسماء الجاهلين اسم له علاقة بهذا الصنم، هو عبد المحرّق، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذا علاقة بهذا الصنم، كأن يكون قد اتخذ من باب التيمّن والتبرّك للملك..."[10] ويرى بعض الإخباريين في تفسير هذا اللّقب خاصة المستشرقين، بأن (محرّق) لقب

أطلق على ملوك كانوا يتقرّبون إلى الله بزعمهم بإحراق القرابين وبإسرافٍ. كما نجد تفسيراً آخر وهو مجرد افتراضٍ، بالقول أن (محرقا) كان من الشخصيات القديمة الواردة في الأساطير وقد اقترن اسمه بالدروع، وورد (بردي محرّق) كما اقترن اسمه بـ (نسيج داوود)[11]. مما يدل على أن هذا الاسم من الأسماء المعروفة قديمًا في الأساطير الجاهلية، وقد ورد أيضًا صوت محرق وفرخ محرق. وذلك يدلّ على أن محرقًا في هذا الموضع حيوانٌ قد تكون له علاقة بأساطير الجاهليين وإذا كان الاختلاف موجوداً فعلاً، في سبب إطلاق هذا اللقب على امرئ القيس، فإنه ولاشك في ذلك أن معظم الإخباريين الذين نقلوا تلك التعليلات، لم يبحثوا أو يدققوا في أصل هذا اللقب. لذا نجدهم يطلقونه على آل نصر كلهم.

كما إننا نجد الإخباريين ومعظم المؤرخين يتفقون على أن امرؤ القيس هو أول من تنصّر، ومن العجب أنهم يتناقلون رواية ذلك ولكنهم لا يتكبّدون عناء ذكر تاريخ هذا التنصّر ولا كيفيته ولا دواعيه ومن ثم فإن أمر تنصره. وإنه أول من تنصر -على خطورته- يبقى مجرد خبر يحتاج إلى دليل. وخلافاً لكل هذا فإننا نجد طائفة من أخبار هذا الملك تنصب حقيقة تدل عليها الآثار المكتشفة من هذا الأخبار الموثقة. أن ملكه كان من الاتساع بمكانٍ تفوّق فيه على الملوك السابقين من الحيرة، وهو الخبر الذي نجده متواتراً عند الإخباريين، فمعظمهم يذكر ذلك ولا ينكره فقد أخضع قبائل: أسد ونزار ومذحج ومعد، ويبدوا أنه كان ذا نزعة حربية وأطماع توسّعية أكثر من سابقيه وتضطرب الروايات حول مدة حكم امرؤ القيس كالعادة بالنسبة لملوك الحيرة الأوائل فـ: (حمزة الأصفهاني) يجعل حكمه يصل إلى 114 سنة[12] وهو أمر مبالغ فيه[13]. وتكاد المصادر التاريخية تجمع على أن أمرئ القيس عاصر من ملوك الفرس (بهرام الثالث) و(نرسي) و(سابور ذو الأكتاف)، وأن مدة حكمه بالمقارنة بين المصادر يكون 40 سنة.

ويرى كليرمون جانو (Clermont Ganneau) المستشرق الفرنسي، أن لفظ التاج كان لوحده لدلالة على علاقته بالفرس وان وجد قبره في حوران وهي تابعة للروم لأن لقب ذي التاج من ألقاب ملوك الحيرة [14]. ويذهب (رنيه دوسو) مذهباً بعيداً في سبب وجود قبر امرئ القيس في هذا المكان بقوله: "... والقبر الذي أقيم لا يرئ القيس في النُمارة في إقليم روماني والرثاء الذي كُتب بحروفٍ نبطيةٍ في

لغة عربية، والذي يرجع تاريخه إلى عهد الولاية الرومانية في البلاد العربية يكفيان لتأييّد اعتراف الرومان بسلطان (امرؤ القيس)، وإن كان النص لا يقطع بهذا تمامًا..."[15]، وهو يريد في ذلك أنه كان لأمرؤ القيس من القوة الحربية ما جعل الرومان يعترفون بهذا الواقع ويتعايشون معه. ولكنه يضيف أن النص لا يقطع بهذا الاعتراف تماماً، ولكنه يشير اليه. ويزدري (دوسو) فكرة المؤرخين المعاصرين عن العلاقات الدولية في القديم،و يقدح فيها بالنقصان والاقتصار، حيث يضيف دائماً في تحليله لنص النقش الذي وجده في النمارة بالقول: "... إن مركز ملك جميع العرب الذي يستمّد سلطانه من ملوك فارس ولكنه في نفس الوقت حليف لروما -ما يبعث عن العجب- وفقاً لفكرتنا البسيطة عن العلاقات بين الشعوب..." [16].

ثم يجد هذا المستشرق الفرنسي مخرجاً في تفسير ذلك بقوله "... لكنه يتفق مع تلك السياسة المتأرجحة للشرقيّين ومع المركز الخاص للعرب الرّحل في بادية الشام وعرب الحطرة..." ويضيف: "... لكنهم عرفوا كيف يحافظون -يقصد العرب- على استقلالهم، من أن يعتدي عليه أولئك أو هؤلاء[17] (يعني الفرس والرومان)...". ما يعطينا انطباعا حول قوة مملكة الحيرة في ذلك الوقت، ونجاعة السياسة التي طبقها امرؤ القيس في التعايش مع القوّتين المجاورتين (الفرس والروم) ولاشك أن ما جاء به (نقش النمارة) يحظى بتأييدٍ غير يسيرٍ من طرف المتّبع لتاريخ الممالك العربية الشمالية، والسبب في ذلك ما جاء به هذا النقش، من معلومات صحّحت الوضع بالنسبة لأذهان كثيرٍ من المؤرخين. حيث يرى (جواد علي) أن صاحب القبر ويقصد امرؤ القيس كان رجلاً محارباً وقائداً كبيراً، أخضع قبيلتي أسد ونزار وهزم مذحجًا، وأخضع معداً ووزّع بنيه في القبائل وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر) في اليمن -ويذكر- أيضا أنه بهذه الفتوحات قد تمكن من فتح معظم أنحاء الجزيرة [18]. ويؤكد رنيه دوسو (R. Dessaud) أن: "... هذا القائد السعيد على وصفه يبدو أنه قد حارب (شمر يور عيش) صاحب نجران في جنوب البلاد العربية..."[19]. وفي تحليله لذلك يرى (جواد علي) أن هذا النص يناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة إلى (شمر يهر عش) (شمر يرعش) فتجعله فاتح العراق وما وراء العراق إلى الصين وتعكس القضية عكساً تاماً. وروايات فتوحات (شمر) هي روايات يمانية وضعها أناس متعصّبون لليمن ولاشك[20]. ويتفق الإخباريون والمستشرقون على أن امرؤ القيس يكون قد حارب (شمر يور عش)

واستنادهم في ذلك دائماً على (نقش النمارة). ويتفقون على أن امرؤ القيس قد أغار على نجران فوصل أسوارها، ولكنها امتنعت منه، وإنه فرض سلطانه على القبائل التي كانت تجاورها و اعترفت بسلطته عليها.

وتذهب الافتراضات إلى أبعد الحدود فيما يتعلق بالسؤال المحيّر: كيف وصل امرؤ القيس إلى حوران إلى أن دفن فيها؟

ويبدو أن هذا السؤال لم يوجد له إجابة دقيقة ولم تظهر لنا النقوش والحفريات -ما خلا نقش النمارة- ولا الأخبار المتواترة من لدن الإخباريين. ومال الكثير من الإخباريين والباحثين في هذا المجال لوضع فرضيات لتقريب الوضع من الواقع، أو محاولة الإجابة على هذا السؤال. فبعضهم يعلّل سبب ذلك، أن سلطة امرؤ القيس امتدت على قبائل العرب في بادية الشام والعراق وأقواها يومئذ معد ونزار ومذحج. وآخرون يفترضون مجيئه إلى حوران في مهمّة أو شأن، وتوفي فيها فبنوا له قبراً في أرض رومانية وكتبوا عليها بالحرف النبطي، قلم ت لك الولاية وأرّخوا بتاريخها. وهم يستدّلون بذلك على وجود علاقةٍ وديةٍ كانت بينه وبين الشام -كما أسلفنا القول- وآخرون يميلون إلى قول آخر ويعتقدون أن أمرئ القيس كان ذو نزعةٍ حربيةٍ وأطماعٍ. حاول توحيد القبائل العربية تحت قيادته، فأخضع قبائل: أسد ونزار ومذحج ومعد وكثيرٌ من المستشرقين يستدلون على وجود تمهيد لتوحيد المجتمعات العربية تحت قيادته في هذه الفترة، قبل وجود الدعوة التي قام بها محمد صلى الله عليه وسلم وانتجب مجتمعاً عربياً واحداً. ويضيفون أن أمرؤ القيس لما أوجد هذا النوع من التوحيد تحت قيادته، ولما أمّن جبهته الداخلية واطمأن لقوته، غزا الروم فقُتل ودُفن في أرضهم، كما يؤكد نقش النمارة[21].

لكنّنا إذ ما نظرنا إلى استعمال التأريخ كحجة تاريخية، والقول مادام أن أهل حوران يؤرّخون بالتاريخ البصري الذي يبدأ بتاريخ دخولها تحت سيطرة الرومان ونستدل بذلك على وجود الحكم الروماني بها، من دواعي التبعية الثقافية نراها محبّذة في مجتمعات معاصرة. وينهض دليلاً مدعماً على ما نقوله، أن الكتابة جاءت بالخط النبطي ولكن اللسان كان لساناً عربيا، مما يدل على استعمال كتابته كان كأداة للإيصال فقط.

بينما يرى آخرون أن سبب دفن امرؤ القيس في موضع النمارة من بلاد الشام، أن أمريء القيس كان في بلاد الشام حينما نزل به أجله. ويرى البعض الآخر أنه

كان قد جاء إلى بلاد الشام لأنه كان من حزب (بهرام الثالث) ومن مؤيديه، فلمّا وقع الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (نرسي) خرج أمرؤ القيس من العراق وقصد بلاد الشام فأقام هناك، ومال إلى الروم فأيّدوه وأقرّوه على بلاد الشام. فيكون قد عمل للفرس و للروم معاً[22]. ويبدو أن هذه الاستنتاجات التي خرج بها (جواد علي) من كتابات (R. Dessaud). إنما قصد بها وضع فرضيات تقترب من الحقيقة. ومهما يكن، فإن السؤال المطروح آنفا يبقى مطروحا دون اجابة دقيقة، إلى أن تظهر المزيد من الحفريات أو النقوش الجديدة حول ذلك. ولعلنا لا نجتهد إذ ما تصفّحنا الروايات والأخبار التي تتحدث عن الظروف الدولية التي كانت تمرّ بها المنطقة. لندرك جيداً مدى الضعف الذي كانت تمر به الإمبراطورية الفارسية، أو مدى القوة التي تحلت بها القبائل العربية في ذلك الحين ونحن نقصد بالذكر عهد (سابور الثاني). حيث أنه وبعد وفاة (هرمز بن نرسي) أوصى بالمُلك لأبنه الذي كان لا يزال حَمْلاً و لم يولد بعد. فلمّا وُلد ذكراً استبشر به الفرس خيراً وكان المُلك لـ: (سابور بن نرسي) أو (سابور الثاني). فلما عرفت الأمم خاصّة مجاوريهم من العرب مدى ضعف تدبير الفرس طمعوا في ملكه، والروايات المتواترة تحدثنا على غلب وسيطرة العرب من عبد القيس والبحرين وإياد المجاورين للفرس على سواد العراق. وهذا الأمر يفسّر لنا أيضا مدى التقارب بين الرومان ومملكة الحيرة، واتساع ملك (امرؤ القيس) وسطوته. وربما يقف دليلا لم يلتفت إليه الإخباريون حول سبب وجود قبر أمرئ القيس في النمارة، فوجوده في تلك المنطقة لا يمنع أن مملكة الحيرة أصبحت من القوة بمكان يجعلها تضايق الحدود الرومانية[23]. لكن الصِلات التي نستلهمها مما توحي به الكتابات الموجودة على القبر، تجعلنا لا نميل إلى مبدأ التصادم بل العكس يمكن أن نقرن ذلك بالتعايش والتسامح، الذي كانت تعيشه مملكة الحيرة مع الإمبراطورية الرومانية. وفي المقابل وبالنظر للتطورات المذكورة آنفاً وهجمات القبائل العربية على مملكة الفرس ربما تدل على أن ملك الحيرة (امرؤ القيس) ارتأى النأي بمقر مملكته عن تلك الصراعات إلى حدود آمنة وهو ما يفسر وجود قبره في النمارة. وتحدثنا الروايات على أن (سابور الثاني) الملقّب بذي الأكتاف أنه لما شبّ وبلغ ستة عشر سنة، وقوى على حمل السلاح، اختار من عسكره ألف رجلٍ، وهجم بهم على العرب المجاورين من أياد، فأكثر فيهم القتل وغوّر مياههم وقصد

البحرين كما قصد بكر وتغلب فيما بين الشام والعراق وأباد عبد القيس حتى وصل إلى اليمامة وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل ويشرّد بهم حتى مات، لذلك سُمي سابور ذي الأكتاف[24]. وتروي قصائد الشعراء ذلك الحدث التاريخي، من ذلك قول (لقيط الإيادي) الذي كان في ديوان سابور ما بعثه لقومه تحذيرًا لهم من من بطش سابور. إذ يقول:

سلام في الصحيفة من لقيطٍ ** إلى من بالجزيرة من إياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم ** فلا يشغلنّكم سوق النفاد[25]

ومهما يكن فإنه و بالنظر إلى ما اكتشف في نص النمارة من معلومات وأخبار. يعزّزها ما رواه الإخباريون العرب، عن فترة حكم الملك امرئ القيس. فإنه يمكننا القول أن مملكة الحيرة مرّت في عهد هذا الملك بفترةٍ من القوة السياسية، جعلتها تملك زمام المبادرة من العرب جميعاً سواء أكان ذلك محاولةً من امرئ القيس في جميع شتات القبائل العربية المتفرّقة تحت راية واحدة والأخذ بأسباب الوحدة للوصول إلى بناء مملكة أكثر قوةً بين الإمبراطوريات الفارسية والرومانية حتى أننا نستشف مبلغ تلك القوة في الذهاب بها بعيداً، والوصول إلى بناء حدود أسوار نجران. وتهديد مملكة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت).

3/ **الجديد الذي جاءت به قراءة**: (James A. Bellamy):

تكمن أهمية الدراسة التي جاء بها: (James A. Bellamy)، والتي جاءت تحت عنوان: قراءة وجديدة لنقش النمارة، أو (A new reading of the Namara Inscription) والصادرة عن (Journal of the American Oriental Society) الجزء 105،رقم 1، والتي صدرت في جانفي 1985، والواقعة فيما بين الصفحات:31 الى الصفحة 51. كونها:

أ- ركّزت دراسة المقال على الجانب اللغوي واهتمت به لتوضيح بعض الاختلافات الموجودة منذ ان نشر اول تقرير للنقش المكتشف، واعتمد فيه صاحب الدراسة على ثلاثة صور أبرز من خلالها هذه الاختلافات التي وان كانت طفيفة الا انها مهمّة في هذا المقام[26].

ب- توصّل (James A. Bellamy) الى نتيجة أكّد من خلالها بما لا يدع مجالاً للشك ان الحروف التي استعملت فيها واللسان هو لسان عربي تشوبه بعض الالفاظ الارامية، وان تلك اللغة هي اللغة العربية المتحوّلة والتي عُرفت في تلك

النواحي الشمالية، قبل ان تتطوّر الى اللغة العربية التي اصبحت واضحة التشكيل واللسان قبل الاسلام[27].وهو رأي اكّد من خلاله رأي دوسو.

ت- توصّل الباحث الى القول ان تلك اللغة المستعملة على النصب هي نفسها اللغة التي كُتب بها الشعر العربي في الجاهلية[28].

ث- من خلال مقاربته اللغوية، حاول (James A. Bellamy) اعطاء صورة لتقارب الملك امرئ القيس مع الروم، وان احد ابنائه قد نصّب فيلارك من قبله على بعض المناطق القريبة من الروم، ويرى ان فيه اعتراف من الروم بسلطته[29].

ج- أهمل (James A. Bellamy) علاقة امرئ القيس مع الفرس ولم يعطيها الاهمية في تحليله وشرحه لمحتوى ما جاء به النص، واقرّ ان نفوذه بلغ نجران باليمن، وان علاقته مع القبائل العربية كانت الجيدة. كما رأى ان من كتب ذلك النص يرجّح ان يكون من مقرّبيه وانه تعاطف معه. ثم يذكر ان ذلك تقليد جرى عليه الاتباع كنوع من التخليد لذكرى الملك ففيه بعض المبالغة خاصّة في جملة "فلم يبلغ ملك مبلغه"[30].

استنتاجات حول البحث:

من خلال ما سبق من مناقشة الآراء المختلفة التي قصدت الاجابة على السؤالين الجوهريين المطروحين كإشكالية لهذا البحث، يمكننا ان نشير الى بعض الاستنتاجات منها: ان وجود قبر امرئ القيس وهو الملك العربي الحيري الثاني من ال لخم في منطقة النمارة بحوران جنوب شرق دمشق، وهي منطقة تابعة آنذاك للنفوذ البيزنطي يعود للقوة السياسية التي كانت تتمتع بها الحيرة مجسّدة في فترة حكم الملك امرئ القيس الذي بلغت حدود مملكته اسوار نجران باليمن ولم يبلغ ملك من العرب قبله مبلغه. ومحاولة هذا الاخير لمّ شتات العرب تحت حكمه بالسياسة والحكمة التي كان يتمتع بهما. حيث تشير المصادر الى وجود ارتباط حضاري بين الحيرة والقبائل العربية في شبه الجزيرة العربية قبل ان يكون هذا الارتباط عرقيا.

ومن خلال الدراسات الحديثة التي ركّزت على هذين السؤالين وحاولت البحث في الجانب اللغوي الذي جاءت به اللغة التي كتبت بها احرف الاسطر الخمسة لهذا النصب فقد تم التأكيد على ان تلك اللغة كانت بحروف نبطية ولكنها بلسان عربي يوافق ذلك كون اللغة العربية المتحوّلة أي في طور التطّور، اما احرف

تلك الكتابة أي الاحرف النبطية ،فلم تستعمل سوى كأداة ووسيلة في ايصال فحوى النص المنقوش، وهي اللغة التي عرف بها العرب الشماليون. وهو ما ينصب دليلاً على حقيقة ان عرب شبه الجزيرة العربية قد تناقلوا الخط العربي عن عرب الحيرة وقد وجدت بها مدارس لتعليم القراءة والكتابة دلّت عليها المصادر الاخبارية مما يدل على المكانة التي تحظى بها الحيرة لدى العرب عموماً وخاصة عرب الحجاز.

الهوامش:

(01)James A. Bellamy, A new reading of the Namara Inscription,vol105, Journal of the American Oriental Society ,jan1985,pp31-51

(02)Dussaud.R, Les Arabes en Syrie avant l'Islam,P.Gauther,Paris,1907,p35.

(03)Idem,p31 James A. Bellamy,

(04)Idem

(05)- جرجي (زيدان)، العرب قبل الاسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966، ص369.

(06)op, cit, p42. Dussaud. R,

(07)- الاصفهاني (حمزة)، سني ملوك الارض والانبياء، مكتبة الحياة، بيروت، ص86.

(08)- الدينوري (ابن قتيبة)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، مصر، 1981، ص647.

(09)- جواد (علي)، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط3، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد ، 1976،ص187.

(10)- نفسه، وكذا:

Boulos (Jawad),Les peuples et les civilisation du proche-orient,t3,La Haye, .Muton&CO Haye ,Londres,Paris,1964,p345

(11)- جواد (علي)، المرجع السابق، ص189.

(12)- الاصفهاني (حمزة)، المصدر السابق، ص87.

(13)- جبران (نعمان محمود)، سحيم (روضة)، الجزيرة العربية قبل الاسلام، مؤسسة حمادة، الاردن، 1989، ص223.

(14)Clermont Ganneau.ch,*le roi de tous les Arabes* RAO6,p307,p36.

(15)op,cit,p38. Dussaud.R,

(16) op,cit,p43. Dussaud.R,

(17)Ibid

(18)- جواد (علي)، نفسه.

(19)op, cit, p50 . Dussaud. R,

(20)- جواد (علي)، نفسه.

(21)- أبو الخير (محمود)، الشعر في بلاط الحيرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص07.

(22)- جواد (علي)، المرجع السابق، ص191.

(23)- نفسه.

(24)- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط4، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص225.

(26)- نفسه.

(27)Idem, p31 James A.Bellamy,

(28)46 Idem, p James A.Bellamy

(29)Ibid

(30)Idem,p45 James A.Bellamy,

(31)Idem ,p46.